بحث رواية الباغ

مقدمة

تحكي رواية الباغ للكاتبة العمانية بشرى خلفان حكاية محبة ووثاق خاص بين الارض واولادها ، بين الانسانية واشارتها ، بين الشعارات الكبيرة وتلك الجموع البشرية التي تذوب تحت مسمياتها وركزت على بعض تلك العلاقات الانسانية بفطرتها الاولى وهي واضحة ومشرقة ومنتجة للحياة .

تبدأ الرواية بمشهد الرحيل، رحيل (راشد ) الأخ وريا اخته من القرية ( السراير) التي ولدا وعاشا حياتهما فيها مع اهلهم ومعارفهم، رحلوا باتجاه العاصمة مسقط ، يرفض الاخوان الظلم فيتركان اهلمها بحثا عن الكرامة :

((بلاد ما ترد الظلم عن أولادها ما نبات فيها ليلة))1

تبدأ رحلة الرواية عبر راوٍ كلي العلم يصف بعين لا تغفل اية حركة في المشهد الروائي ثم يدخل الى تفاصيل المزاج ويعرض ما تشعر به الشخصية او ما تحمل من تصورات وافكار، تمتد عبر حكاية (ريا وراشد) ، حكاية عُمان الحديثة ، كيف تجلت هذه الدولة وباي طريقة او اسلوب كانت الحياة المختارة لشعبها.

توشي الكاتبة لغتها الواضحة بالكثير من المشاعر لكن من دون حشو او إطالة خاصة وهي تستعرض تفاصيل الحياة في هذه البقعة من الارض، كيف يتواصل الناس، وبما يتحدثون، كيف وماذا يأكلون باي البيوت يسكنون ومن أين تاتي تصوراتهم عن الحياة، وهي بلا شك وظيفة السرد المعاصر الذي صار يعد وثيقة إجتماعية وتاريخية تسجل بحرفية وصياغة ماهرة حياة الناس وافكارهم وتصوراتهم

**المرجعية**

ما هي المرجعية التي نبحث عنها في هذه الرواية وكيف تتمثل وعلى ماذا تدل؟

تأتي هذه الكلمة من الأصل اللغوي ( ر، ج، ع)وهي بحسب معاجم اللغة تعني العودة الى المنبع ، اي رجوع الشيء الى المكان او الموضع الذي كان فيه 2

وليس ببعيد عن المعنى اللغوي للكلمة تقع المرجعية بوصفها مصطلحا سردياً على الفكرة نفسها، اي فكرة البحث عن ألأصل ونسبة الخطاب الروائي اليه فالمرجعية هنا هي " العالم الذي يحيل اليه ملفوظ لغوي، علامة منفردة كانت أم تعبيراً مركباً، ويكون ذلك العالم إما واقعياً موجوداً حاضراً وإما متخيلا لايطابق اي واقع خارج التعبير اللغوي وهذا يستلزم بالضرورة من يدرك ذلك العالم او يمثله ، ثم تنتج الدلالات التي يمكن ان يعبر عنها العالم المرجعي المعروف في التعبير "3

إن إرجاع الكلمة او الفكرة في الرواية الى اصلها هو شكل من اشكال الدراسة الثقافية التي تحاول استجلاء النصوص الادبية والبحث فيها بوصفها وثائق تاريخية او إجتماعية توضح طريقة المؤلف الحقيقي في توجيه السرد وغاياته التي اضمرها لكنه وجه التمثيل السردي باتجاه تحققها في ذهن القارئ، فالكتابة الروائية في الغالب هي تمثيل ومحاكاة لفكر الانسان وتحولات المجتمع وصور الاقدار.

إعتمادا على ذلك فان متابعة المرجعية التي تتحرك على وفقها الاحداث وتتبناها الشخصيات تعد قراءة ثقافية تبحث وسائل

الرواية المضمرة لمقولات مواربة لا تبدو علنية او واضحة، لكنها ضرورية لجعل النص الروائي مزيجاً متفاعلاً فيما بين عناصره ودلالاته الفكرية والسياسية والتاريخية، الامر الذي يفتح آفاق الحوار الفكري مع المتلقي.

لذا تبدو عملية البحث عن مرجعية العمل الادبي محاولة لاستجلاء الخطاب وتفكيك ادواته وترتيب مصادر اعتماده لتلك الفلسفة التي يحاور بها المتلقي بطريقة مخفية عبر التمثيل الروائي لتخييل يصنع عوالم وشخوص واحداث وبيئات وخطاب مواز لايعلن تماما ماذا يريد ولاكيف يوجه مزاج المتلقي وهو يفك رموز شفرات الرسالة المخفية عبر اللغة والسرد والفضاء .

ويمكن تقسيم هذه الدراسة الى :

**المبحث الاول**

المرجعية الدلالية والفكرية في النص : من أين جاءت الافكار والدلالة في الرواية ويمكن تحديد هذه المرجعيات اعتماداً على النص الروائي ونسبة تكرار هذه الافكار .

1\_ الخطاب الديني :

ليس من الغريب ان نجد رواية تتحدث عن عُمان في بداية نهضتها معتمدة بجانب كبير على الخطاب الديني الاسلامي بصيغته الفطرية البسيطة ، فالشخصية الرئيسة في الرواية (ريا) التي خرجت مع اخيها من قريتها. وكانت قد ورثت العلم عن أبيها الذي تعمد تعليمها القران والأحاديث فيما علّم أخاها راشد اصول الفلاحة وتهذيب النخل والكد في الأرض. وقد تمحور جل الخطاب الديني بكلمات مباشرة من القران والأحاديث النبوية او باستخدام وصف للشعائر الدينية والقيام بها بواسطة الشخصيات : كالصلاة والصيام وتلاوة القران.

إذ تبدأ مشاهد الرواية بهذا السرد :

" جمعت ما يملكان من تمر وقهوة ولفت ثيابها على مصحفها، ربطت صرتها بثلاث عقد وتمتمت بالدعاء ونفثت فيها حتى لايضيع ، لبست شيلتها، وانتظرته عند الباب ليجهز ناقته"4

يكشف هذا المشهد الذي تفتتح الرواية به رحلتها السردية اهتمام الشخصية العالي بالمصحف فهي تلفه وتحمله معها في رحلتها . والبناء هنا " يكون على مستوى التمثيل الذهني وليس على مستوى ما يربط بين المرجع في العالم الحقيقي اللغوي "5

وتقوم عملية التواصل السردي في الرواية هنا على نوع من الميثاق والعهد الضمني بين الكاتب والمتلقي الذي يفترض وجود آلية واضحة تستند اليها جميع العناصر في المشهد السردي من أفكار وشخصيات , وفضاء هذا العهد يوثق لعالم متخيل يصنع حدوده ويرسمها داخل اللغة مفترضاً وضع اطار ثقافي مشترك يجعل من الاحالة او المرجع الفكري المذكور صيغة من صيغ توجيه القراءة والسيطرة على استقبال وتفاعل المتلقي الذهني لها .

وفي موضع آخر يذكر الصوت السردي في الرواية " ثم همست تردد آيات من السبع المنجيات كما علمها أبوها بعد خروجه من أربعين خلوته الاخيرة ، قال لها : الله قاضي الحاجات لا يرد طلبا لعبده ان احسن النية "6

تتكرر الاحالة الدينية بإلحاح خاصة في بداية الرواية اذ تواجه الشخصيات الرئيسة فيها محنة تستلزم الاستعانة بالله واللوذ بقدرته للخلاص من تجربة صعبة ومريرة في الغربة وترك الاهل والبلاد . الا ان المفاجئ هنا للذهنية العربية بشكل عام هو التصاق العلم الديني بما يشمل من حفظ لآيات الله والاحاديث او تفسيرها كان منوطاً بريا الفتاة بينما ظل راشد الاخ يعاني من الجهل الشديد في هذه الامور، "ولما كان النص السردي ينهض على منطق الايهام بصدق المسرود وكانت مقولة الصدق لا تستلزم بالضرورة التماثل او المطابقة بين محتويات النص والواقع الخارجي فان صدق النص ينبثق من احلال الخيالي الابداعي في ذهنية المسرود له لتبقى هناك مسافة محدودة بين متواجدات الواقع وبين فنية هذا الاخير " 7

وبكل الاحوال فان الخطاب الديني أو استعمال مفردات مثل الصلاة والتلاوة وكل الطقوس الخاصة بالإسلام وردت كثيراً على السنة أغلب الشخصيات في الرواية وبالطبع بشكل خاص واكثر دلالة للشخصية الرئيسة فيها ؛ وتبدو فكرة الميل نحو الخطاب الديني على السنة الشخصيات واضحة جداً في اغلب الكتابة الخليجية الروائية خاصة تلك التي تحاول الاقتراب اكثر من بيئتها والانصات بطريقة اوضح لطبيعة الفرد فيها وكما هو معروف نقديا "فان استعمال النص الديني في الرواية جاء لتحقيق أغراض فلسفية، فكرية، أيديولوجية أو فنية جمالية...توجه الدلالة وتمكن القارئ من التعامل مع المعاني الخفية التي تكشف الوجه الخفي للواقع" 8

2\_ **التاريخ** : تحدثت رواية الباغ للكاتبة العمانية بشرى خلفان عن تاريخ عُمان عبر الحكاية الاساسية لراشد واخته ريا، وحين نشير الى التاريخ نعني به هنا التاريخ السياسي وليس الشؤون الاجتماعية التي تتعلق بكيفية حياة الناس في ذلك المكان وفي تلك الحقبة وعادة مايكون "الكشف عن المنظور الفني للروائي من خلال القضايا التاريخية التي طرحها. ومحاولة التعرّف على مدى تفاعل الروائي مع قضيته الوطنية والقومية العربية، والبحث عن الأبعاد الدلالية وراء اعتماده السرد التاريخي " 9

من ذلك قولها :

" كان عدد الجنود فيها لا يتجاوز الثمانين عسكرياً، ويشرف عليهم ضابطان انجليزيان ، الميجور كوليرج والكابتن هامفنست ، الذي انضم اليهم معاراً من الجيش البريطاني خصيصاً لغرض تدريب كتيبة قوة الباطنة الميدانية "10

او مثلاً

" وصلنا الخبر ،السلطان مالقى بد يماشي الانجليز ووافق على الانسحاب ، لكن القبائل تراها ماراضية ، ردت بلدانها وصورة السلطان وهيبته مكسورة في عيونها

ترى الانجليز مابغوا يدخلو الحرب ، انت تعرف الحرب خساير ، يموت فيها كثير من الناس والعسكر ، القنصل قال مافي فايدة من الحرب كان قدرنا نحل الموضوع بالتفاهم " 11

ينتمي راشد وهو الشخصية المحورية في الرواية الى عالم العسكر من خلال دخوله الحرس السلطاني وبعد ان اثبت شجاعته ورباطة جأشه يتدرج في الرتب العسكرية ماراً باغلب الحوادث السياسية والعسكرية التي مرت بها عُمان الحديثة لاسيما في حقبة الثورة التي تولى الجيش اخمادها والسيطرة عليها ثم تولي السلطان قابوس الحكم عام 1970 ويتوجه بخطاب مؤثر نحو الشعب العماني واعداً اياهم بالاستقرار والرفاهية وتعد تلك النظرة التاريخية لتاريخ عمان المعاصر محاولة لاسترجاع الذات والهوية العمانية والبحث عنهما .

يمكن إاذن أن نشير إلى اتخاذ مثل هذا النوع من الروايات من التاريخ ذريعة بهدف الوصول الى أمثولة درامية تقول مايحدث ، ليس مايجب ان يحدث ، فالرواية تعد محاولة لتنظيم الحاضر واقامة علاقة مع الماضي بهدف ان يكون الماضي في خدمة الحاضر وعاملا من عوامل اكتشاف واقعه " 12

3 **الخطاب الفكري والايدلوجي**

تنقل رواية الباغ رؤى ايديولوجية متعددة تجعلها في مواجهة بعضها كما في الواقع الذي تعيشه الدول العربية في تلك االمرحلة ، ففي العائلة الواحدة من الممكن ان يوجد اكثر من انتماء فكري واتجاه ايدلوجي مما يجعل المواجهة دائما حواراً حاد النغمة، بالنسبة للرواية فان التركيز على الموضوعات الفكرية السياسية المعاصرة كان من خلال النصف الثاني من الرواية او بعبارة اكثر دقة بعد التقدم بالسرد في الحكاية اذا برزت شخصية ابن ريا المتعلم الذي سافر الى الكويت لإتمام تعلمه، هنا بدأت الاسئلة تكبر والانصات يتسع لما هو ابعد من القرية او الحارة بشكل خاص مع بداية سطوع الاعلام العربي القومي الذي كانت تتزعمه مصر ويجد صداه في باقي الدول العربية والكويت طبعا واحدة من هذه الدول.

فمثلا ينقل الحوار بين أبو زاهر وصديقه عتب الاخير عليه لأنه ارسل ولده الى الكويت قائلا :"هناك امور كثيرة وانت تعرف الكويت فيها القوميين بو مع عبد الناصر والامام

يجيب الاب :القوميين في كل مكان التو ، من البصرة لين الجزائر ، والدنيا كلها مع عبد الناصر "13

"لم يكونوا يعرفون اكثر مما تبثه اذاعة صوت العرب ،التي كان الجميع يتحلق حولها ليل نهار في مدن الوطن العربي وقراه ....منتشين بالنصر القادم ، فرحين بعودة فلسطين التي باتت على مرمى غارة او قذيفة ، تتعالى الضحكات ويكثر المزاح وتتحول الدروس الى فلسطين وعبد الناصر ، وكما الضحكة في الاعلام ترفرف في سماء المدرسة علم فلسطين وعلم الكويت " 14

تنقل الرواية مشهداً لاجتماع مجموعة من الطلبة في مكان أو بيت أو شقة ومتابعتهم أخبار الحرب عبر الاعلام العربي الذي كان بعيدا عن الحقيقية وعن وضع الارض في المعركة ، ثم بعد حدوث النكسة كانت الاسئلة والمرارة كبيرين بحجمها ، "أن عددا كبيرا من الروايات اقتربت من الراوي "البلزاكي"، الذي يصدر أحكاما عن الوجود والعلاقات البشرية، فلا يعود بإمكاننا ونحن في غمار الحديث عن رواية ذات طابع سياسي أن ندعي روائيا محايدا لا تحركه مقاصده الإيديولوجية، بما يحيلنا إلى شيفرة سردية عاطفية أو إجراءات روائية تنجح في بعض الأحيان في امتلاك القارئ، بل وجعله ممتثلا لقيم النص ولو على حساب قيمه الخاصة في بعض الأحيان."15

وبالفعل ناقشت الرواية تلك الاحداث التي مرت عبر حقبة زمنية هائلة التأثير على الاوطان العربية عبر الحوارات الذكية :مثلا " اسمعني ، نحن ما انهزمنا بسبة عبد الناصر ، لكنك غضبان منه لأنك مثل غيرك سويت منه رب ، وحسبت انه بيديه النصر ، والعزة ، والكرامة ، والمستقبل، والتحرير ، كل شيء خليناه في ايد رجل واحد ، هو يفكر عنا وهو يقرر عنا وهو ينفذ عنا ، نحن غرينا عمارنا ، وحملنا الرجال فوق طاقته " 16

**المبحث الثاني المرجعية الفنية للرواية**

يبحث هذا القسم من الدراسة في مرجعيات خاصة تفترضها الرواية عبر إعتمادها للتأويل وابتكارها لشخصياتها في الزمان والمكان عبر سلسلة من المكونات السردية، فلكل رواية بنية تحتية تسير الأحداث فيها وفق منطق خاص حاولت بعض المناهج السردية متابعته مثل المنهج السيميائي وقد عبر الباحث الفرنسي (كلود بريمون )في كتاب منطق الحكي الذي صدر عام 1970الذي وضح فيه تقديم متتالية لمنطق الحكي وطرق اشتغاله، لذا يميل النقاد الذين يتبنون هذا المنهج على الاعتماد على النص نفسه للبحث عن مرجعياته من وجهة نظرهم .

على وفق هذا التصور قسمت هذا المبحث الى التالي :

هذا المبحث يركز النظر على وجهة نظر نقدية تقترح ان ثمة اختلاف بين الواقع بتفاصيله وبين ما تقدمه الرواية بوصفها عملا تخييليا يحمل تصوراته الخاصة من خصوصية تشكيله الفني ، فالواقع داخل الرواية له منطق خاص ينتمي لنمط تفكير معين يتبناها الراوي ، وهذا مايقصد المبحث الثاني فهم آلية اشتغاله ، اشتغال بعض عناصر السرد داخل الرواية وتوجيهها لخدمة وجهة نظر او فلسفة معينة ،وسيعتني المبحث بعنصرين من عناصر السرد هما (العنوان ، والشخصية).

1 **\_ العنوان**

لطالما شكّل العنوان موجهاً من موجهات القراءة، لأنه يثير الخيال ويفتح أفق التلقي تجاه مرجعيات معينة خاصة به فهو (ثريا النص )كما يقول القاص العراقي (محمود عبد الوهاب )في كتابه عن العنوان، الثريا التي تمنح ما حولها كل الضوء ليبدو واضحاً براقاً بالمعنى، في هذه الرواية موضوع البحث كان للعنوان بوصفه عتبة دلالية اولى خصوصيته فكلمة (الباغ) وفق المصادر اللغوية هي كلمة فارسية تعني بستان ، وحين نريد تعريفها في اللغة الفارسية نضيف المقطع (جه) الذي يعمل في المفردة ما تقوم به ادوات التعريف وخاصة ال التعريف العربية .

ترتبط مفردة الباغ في هذه الرواية بشخصية البيبي وهي السيدة البحرينية التي تزوجت من تاجر عماني فلما سافر ولم يعد ساومها اولاده من زوجته الاولى على ما ترك من اموال، فلم يتبق لها الا هذا البستان الذي تعيش فيه مع بناتها فيما تدبر امور حياتها بما يرسل لها اهلها من اموال وهدايا من البحرين . وعند الانتهاء من قراءة الرواية تشكل هذه الشخصية ثقلا محورياً في الرواية لا تفتح الاحداث ولا تنهيها ولا توجه السرد فما الذي جعل الرواية تختار هذا العنوان " يرى ايكو ان مفتاح التأويل يلتصق بالعنوان الروائي وقد ياتي مجازياً استعارياً بحكم الشاعرية فالعنوان يمثل هاجسا من نوع ما فقد يرتبط بالنص ارتباطا شكلياً وعند قراءته نعجب بتركيبه وحسن صياغته لما يمارسه من دور التشويش على الافكار وهي تقنية عدها ايكو من التقنيات التي على العنوان ان يؤديها كاحدى وظائفه " 17

وهو ما يفصح عنه الاستعمال المشوش والغريب للعنوان فخلال القراءة ومع بداية اكتشاف الباغ تصل رسائل ضمنية للمتلقي توحي بان لهذا المكان توهجاً خاصاً يستحق من خلاله ان يكون العنوان محط الانتباه والعلامة المميزة لكنه سيكتشف فيما بعد ان العنوان يكتسب هنا بعداً تأويلا فالباغ يشير الى عُمان فهي البستان الصغير المسور والذي تبدو علاقة ساكنيه مرتابة مع الخارج ومتوحدة مع هواجسها ، اذ ثمة انفصال محسوس بين البيبي مالكة الباغ والتي تسكنه هي وبناتها وبين الاخر الذي لاتعرفه .

**2 الشخصية** :

ما مرجعيات الشخصيات في رواية الباغ ، هل استطاعت الكاتبة تحديد خطاطة من العلاقات والسلوك والحوار تتناسب مع الافق الثقافي والمرجعية الفكرية لكل شخصية ام تداخلت لديها الرؤى واختلفت خلال متن الرواية صعوداً وهبوطاً مع البنية القيمية والفكرية للشخصية، في مقالة نقدية مطولة عن رواية الباغ نشرها الناقد جابر عصفور في جريدة الاهرام يقول :

" يبقى السؤال: من البطل الأساسي في هذه الرواية؛ هل هو «راشد» الذى قرر أن يصحب أخته معه تاركًا أرض الظلم؛ لأنه حر لا يطيق الظلم؟ أم هي «ريا» التي قررت أن تمضى مع أخيها فرارًا من الظلم إلى النهاية الحتمية؟ أم ما يترتب على فرارهما معاً من زوج أو ابن؟ الحق أن البطل الأساسي الذى يفرض حضوره الطاغي على هذه الرواية هو «ريا» التي تكاد تتحول إلى موازاة رمزية للمرأة العُمانية التي قامت بأدوار متعددة عبر تاريخ عُمان الحديث" 18

شكّلت هذه الرواية بحرفية واحساس عال شخصية نسائية فريدة لها خصوصية محلية تماما مثلما لها امتداد انساني عميق جعل منها شخصية غنية رغم بساطتها ، ف(ريا) التي نشأت في القرية وكانت الام الثانية لأخيها راشد بعد رحيل امها والتي تعلمت من ابيها اصول الدين وحلاوة التلاوة لآيات القران ، هي انسانة تنطوي على عظيم الاحساس الذي يمتد بين احرف الرواية مانحاً اياها سراً طاغي الحضور لكنه عصي على التحديد علاقتها بالأخ كانت علاقة محبة صافية وارتباط عميق مثلما جمعتها المحبة بكل الناس الذين صادف وجودهم في حياتها مثل شخصية( العودة ) المرأة التي استقبلت وجودها في بداية غربتها في مسقط تقول ريا في وداعها في لحظة رحيلها الابدي عن الحياة :

" جلست ريا في صدر الحوش تبكي العودة كما لو انها تبكي امها التي لم تخبر وجودها وموتها الا من خلال الاخرين ، تبكيها بكل ما فيها من خبرة الفقد ومرارة الغياب "19

لقد امتدت مرجعية هذه الشخصية على امتداد الرواية بطريقة واحدة حفظت السمات الشخصية العامة لها على رغم تبدل الأحوال وتطور الشخصية ذاتها، لكنها ظلت مصدراً لأمرين الأول هو الدين وخاصة تلاوة القران وتعليمه للصغيرات فيما بعد :

"تحب ريا سورة مريم ، تحبها وتشعر بالياء الممدودة فيها تمتد من قلبها الى حنجرتها حتى تصعد خفيفة في انفراج شفتيها وكأن كل كلمة دعاء وكان كل مد فيه نداء لها.. يتغير الحرف آخر الآية فتتحول الياء الممتدة الى دال ، وبعدها الف حازمة ،وان كانت ريا تجد فيه حزما مختلطا بحنان كما كان حزم ابيها معها ، ثم تختم السورة بحرف الزاي والالف الممدودة بعدها في التذكير ".20

أما الأمر الثاني الذي شكل هذه الشخصية في الرواية هو قدرتها على المحبة وعلاقتها المرهفة مع الشخصيات الاخرى :

علاقتها بالله محبة " الله هو النور وكلامه نور، ولو النور ماشق الصدر واستقر ،كل ذا العلم مايله معنى "21

علاقتها بأخيها علاقة محبة عميقة وارتباط قوي جداً

"كانت طفلته ثم صارت اخته ثم كبرت فصارت وكأنها امه" 22

"يعرف قوته ، ويخبر هشاشتها، ضعفها في خوفها من فقد من تحب ، خوفها على راشد الذي لا يعادله الا خوفها على زاهر ، قوية وحكيمة هي الا في هذا الحب "23

اما علاقتها مع ابنها زاهر فقد كانت تجاوزت صورة الام المعتادة وفاقتها بطريقة الارتباط والعاطفة والمشهد الاخير في الرواية كانت يصف مشاعرها بعد ان سجن زاهر وقدم للمحاكمة بتهمة الانتماء الى الثوار وتعاطي الافكار الشيوعية

" قلبها ثقيل ، يكاد يكون حجرا يسقط في كل خطوة وتكاد من فرط ثقله ان تفلته في الخطوة التالية ليتدحرج الى ما لانهاية .

تسر في خاطرها قرابين كثيرة تذبحها عند قدميه لو انجاه الله مما لا نجاة منه

هل تعرف ذلك ؟ هل تعرف ان سيرها اليه يأس ورجوعها يأس ؟

تردد اسماء الله التسعة والتسعين كلها كما ورثتها عن ابيها في الدعاء ، ثم تتذكر تهمته ،فيتردد قلبها "24

التهمة التي تداهم قلبها هي انه (شيوعي) او كما اخبروها (كافر) فتغص في قهرها ، هي الممهورة بكلمات الله والسائرة في درب المحبين الطائعين ، كيف تدعو لولد وحيد خرجت به من الدنيا وهو متهم بنكران الله ؟!

يذكر جابر عصفور في مقالته ان هذه الشخصية اسطورية مرتبطة الى حد بعيد بتلك الشخصيات العالمية في الروايات الكلاسيكية كالام الخالدة في رواية دستوفسكي .

فالروائي المعاصر وإن سلط منظار سرده على شخصيات بسيطة وعادية من مختلف الشرائح فإنه تحول إلى ما يشبه الأنتروبولوجي والباحث في التراث الإنساني ينهل من الأساطير والرموز وينفتح على مختلف الأشكال التعبيرية محطما الحدود بين الأجناس الأدبية، (لمن؟)

**شخصية راشد** : تدور شخصية الاخ راشد حول مفهوم الكرامة وتحدي الظلم ، اذ تبدأ الرواية بمشهد الرحيل بسبب الظلم ثم تمتد هذه الشخصية عبر احداث وصعاب طورتها لكن عبر المرجع القيمي والاخلاقي ذاته " حسب فيليب هامون أن الشخصية، إضافة إلى كونها وليدة مستوى عميق، لا يمكن الإمساك بمدلولاتها وملء بطاقتها إلا من خلال وجود عناصر مهمة تسهم في بنائها، وهي القراءة و السنن الثقافي.

" ياريا البلاد ماجبل وحصى ونخل وفلج ..يتكسر صوته لكنه يكمل البلاد ناس تحبك وتفقدك وتترجاك وتحامي عنك وما تهون عليها "25 تقود الشخصيات احداث الرواية وتمنحها بعدها الواقعي المقنع فالشخصية : "كائن له سمات إنسانية، ومنخرط في أفعال إنسانية، ويمكن أن تكون رئيسية أو ثانوية، ديناميكية أو ثابتة، متسقة أو غير متسقة، مسطحة أو مستديرة، ويمكن كذلك تحديدها على أساس أعمالها وأقوالها ومشاعرها، وطبقا لاتساقها مع الأدوار المعيارية، أو طبقا لاتفاقها مع مجالات محددة من الأفعال، أوتجسيدها لبعض العوام"26.

يمكن تحديد مرجعية راشد من خلال تحديد خطابه وسلوكه وهو كما يتضح في الرواية كلها يتعلق بصلابة الراي والعناد ورفض الهوان :

" قال لابيه في سره واثقا ساحمل بندقية السركال منذ الغد يا ابي ولن نهون بعدها ، انا وريا لن نهون ساحرص على ذلك " 27

كما انه كان حذرا قليل الكلام

"صارا صديقين ، لكن راشدا لم يتخل عن حذره ابدامعه ، ولم يحك له عما حدث لهم

في السراير ، لم يخبره عن جور عمه وظلم الاهل وغدرهم "28

صرخ في حبسه " هذه بلاد لاتقبل الضعيف ولا تحترم المحتاج ، هذه بلاد ظلام يا ابي ، الجبابرة لا ياتونكم من الخارج، انتم تلدون الجبابرة ، من ارحام هذه الارض يخرجون وينسلون ويفسدون " 29

لم تغفل شخصية راشد في اية تفصيلة من تفاصيل سلوكها افعالها او ردات فعلها هذه المرجعية فهي ابنة الارض حرة لاتعرف الانحناء الا للخالق ولاتعرف اللين الا للعطف والمحبة وحين تعتمد الرواية في تصميمها الهندسي على البداية وذروة النهاية،وتستند الى الترابط بين الأحداث والتفاعل بين الحدث والشخصية بطريقة تمنح الأحداث افقا واضح التسلسل وفق مبدأ العلِّية والسببية، ويؤدي إلى تطور الشخصية وتناميها، وكل هذا يؤكد الى درجة التوازن في العلاقة بين الحدث والشخصية، والشخصية والزمان والمكان، وهو ما يصف البناء بالتماسك والترابط والتدرج الفني

تستلم شخصية راشد في المشاهد الاخيرة من الرواية اشارة اكيدة ان ثمة وشيجة عميقة بينه وبين شخصة زاهر ابن اخته ، رغم اختلاف التوجهات وتعددها لكن المنطلق واحد والطريقة واحدة :

" بس ابغاك تخبر امي شي ، قولها اني ما احب حد كماها في الدنيا .قول لها لاتبكي،قول لها بسها عاد من البكي ، قول لها زاهر حر ولد حرة ، والحر مايقبل الظلم .

سمع راشد جملة زاهر الاخيرة فشعر بتصاعد الغصة الى حلقه،ثم بالم يبدا من مكان اصابته القديمة في وادي بني حبيب وينتشر بين ضلوعه .

تجمع الدمع في عينيه وماعرف كيف يعالجه فنكس راسه ومارفعه حتى اتاه صوت زاهر ثانية :

قول لها الحر مايخون العهد ولو على رقبته، قول لها تسامحني ،قول لها تسامحني ."30

كان هذا الحوار بين راشد الخال وهو يعمل عقيد في الجيش الحكومي للسلطان ومع زاهر ابن اخته الثائرمع الشيوعين .

" ان الكلام على راي فاولر يرد مشوبا بذاتية المتكلم مهما كان نزوعه الى الحياد والموضوعية ، فهو \_في الرواية اساسا \_ينأى عن كونه مجرد نقل للاخبار ليصبح قولا فنيا مفعما بمعتقدات القائل ومواقفه واحاسيسه يجريها على جهات شتى " 31

ابدت هذه الشخصية ممانعة وقوة واضحة في الوقوع تحت اثر الانفعال والعاطفة ،لكنها في اخر الحكاية تعود الى ذات النسق العاطفي العام الذي التبست في داخله كل الافكار والمرجعيات ووظفت من اجل خدمته ودعمه .

خاتمة ونتائج

امتدت رواية الباغ للكاتبة العمانية بشرى خلفان عبر مجموعة من المرجعيات بعضها يتعلق بالدلالة والاخر يرتبط بعناصر الحكي الفنية ، حاول هذا البحث النظر بايجاز لتلك المرجعيات وتأشيرها بوصفها محورا اساسيا يشتغل عليه الحكي حتى يتخلى عن كونه هذرا عديم الفائدة والارتباط بالحياة ، فلكل شيء مرجع يستمد منه تشكيله باحثا عن عن اعادة صياغة لتلك التركيبة ممن مجموع المرجعيات

.نتيجة اولى ..حققت رواية الباغ تماسكا لافتا عبر صياغة حكاية ارتكزت على التاريخ واهتمت به بوصفه احدى اهم الوسائل لمعرفة الحاضر وفهم تفاصيله.

نتيجة ثانية ..ثمة مراوغة فنية تخبيء تحت حرفيتها امكانية عالية في التخطيط لما يقال عبر عناصر السرد وهي تعتمد على حركة فنية ولغة موحية وسلسلة

نتيجة ثالثة .. كانت الرواية مقنعة الى حد بعيد في اعتماد مرجعيات خاصة بها بالرغم من ارتباطها ببعض الافكار الخارجية الا انها طوعت لخدمة الحبكة الرئيسة والاحداث مما منح هذا النص الروائي ثباتا فنيا عاليا .

. الهوامش

1\_ رواية الباغ ، بشرى خلفان ،مسعى للنشر والتوزيع ،الطبعة الاولى ،اكتوبر 2016 ص 11.

2. تنظر معاجم العربية ، الفيروز ابادي والقاموس المحيط او المنجد في اعلام اللغة .

3. مرجعية بناء النص الروائي ، الدكتور عبد الرحمن التمارة ، دار ورد الاردنية للنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ، 2013 ،عمان ص 52.

4.الرواية ص 11.

5 .المرجع والاحالة بحث منشور ، خليفة غوشاش ، جامعة المسيلة ،، ص 122.

6. الرواية ص 13

7. المرجع والاحالة ص127.

8.التراكم النصي وتقنية الدلالة 'النص الديني في الرواية بين حرفية المرجع وانحراف الدلالة' مبروك كواري .

9. السرد التاريخي بين الواقع والمتخيّل في رواية "الجنرال خلف االله مسعود (الأمعاء الخاوية)، محمد الكامل بن زيد رسالة ماجستير من جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الاداب عام 2015.

10- الباغ ص 102

11- نفسه 107

12- الرواية بين ضفتي المتوسط ،التعدد اللغوي في رواية سنونوات كابول لياسمينه خضرا ، د, حسن كرومي ، جامعة بشار ، المجلس الاعلى للغة العربية ، الجزائر ، 2011.

13-الرواية ص 226.

14 - نفسه 256.

15- ندوة للناقدة رزان ابراهيم من الاردن عن الهم السياسي في الرواية العربية نقلتها مجلد الغد الاردنية في 21 ايلول 2017.

16 -الرواية 264.

17-العتبات في رواية اعراس امنة تحت شمس الضحى للروائي ابراهيم نصر الله ،

موفق مقدادي ، مجلة المشكاة للعلوم الانسانية والاجتماعية ، المجلد الاول العدد 2 2014.

18- الاهرام اليومية الجمعة 5 من ذي القعدة 1438 هــ 28 يوليو 2017 السنة 141 العدد .47716.

19- الرواية 232

20- نفسه 168

21 - نفسه 168

22-نفسه 94

23-نفسه 144.

24- نفسه 332.

25- الرواية ص 47.

26- قاموس السرديات- تأليف جيرالد برنس- ترجمة السيد إمام- منشورات ميريت- ص30/31.

27- الرواية54.

28- نفسه 68

29نفسه 101

30نفسه 328

31علاقة المكان بجهة القول في الخطاب الروائي المغاربي رواية ثقل العالم لسعيد بوكرامي نموذجا ، عبد المنعمن سيجة ص147